الممارسات السوسيو-ثقافية بالصحراء الجزائرية
" الإحتفالات الشعبية نموذجا"

أ.د معتوق جمال
جامعة البليدة 02. الجزائر

أ. شماخي موسى إسماعيل
جامعة تيارت. الجزائر

ملخص:

تعد الإحتفالات الشعبية موروثا ثقافيا يمتزج فيه التاريخ بالحاضر عبر ممارسات سوسيوثقافية، يؤديها جماعة من الأفراد بطريقة متعارف عليها محليا، وفي زمان ومكان محددين، إن هذه الإحتفالات إنتقلت من جيل الأجداد فالآباء فالأحفاد عبر مؤسسات التنشئة الإجتماعية المتعددة، وأخص بالذكر هنا دور الأسرة والزاوية باعتبار هذه الدراسة المتواضعة تخص منطقة قورارة "تيميمون" بالجنوب الغربي الجزائري.

تحافظ هاته الممارسات السوسيوثقافية على خصوصية المجتمع التيميموني، وتساهم في تماسكه وترابطه، فهي فضاء للإلتقاء بالبعيد، والتصالح بين المتخاصمين، و هي تجسيد الوفاء للسابقين كاحتفالية السبوع المخلدة لذكرى وفاة الرسول الكريم ،كما تعتبر همزة الوصل بين سكان القصور المتناثرة في إقليم قورارة الشاسع، وبالتالي فإذا كان العام والخاص في منطقة تيميمون يدرك معنى احتفالية السبوع، واحتفالية الحفيظ، واحتفالية الختان، والزيارات، وغيرها من الإحتفالات الدينية، وجسدوها على \الارض الواقع فإن المسؤولية تقع على عاتق عديد الجهات للنهوض بهذا الموروث وتوسيع نطاق هاته الإحتفالات عبر ربوع الوطن حتى تزدهر السياحة الداخلية، ثم توسيع النطاق أكثر والترويج لهذا المنتوج الثقافي خارج حدود الوطن، حتى يستقطب السواح الأجانب والمساهمة بذلك في تعدد واردات الجزائر خارج إطار المحروقات.

Article Summary:

Popular celebrations are a cultural heritage that Collecting history with the present through sociocultural practices, which are performed by a group of individuals in a localized way. At a particular time and place, these celebrations have been transformed from the generation of grandparents. To the generation parents and grandchildren through the various socialization institutions.As this

study is relevant of "Timimoun" region of " Guarara" in the southwestern Algerian region.

These sociocultural practices preserve the privacy of the "Timimoun" community and contribute to its cohesion .Is an area of meeting with the other and reconciling between the adversaries. and embodiment of the fulfillment of the past such as the memory of death of the Holy Prophet and the link between the inhabitants of the scattered palaces in the vast region of "gourara". If the young and the big understand the meaning of these celebrations, the celebration of the "sbou3", the celebration of the "Hafiz", the celebration of "thara", "ziarate" and other religious celebrations, must the responsible parties should be aware of the expansion of these celebrations throughout the country So that domestic tourism flourishes and promote this cultural product outside the borders of the country, so as to attract foreign tourists and contribute to the multiplicity of Algerian imports outside the framework of gas and petroleum.

الكلمات المفتاحية:

- الإحتفالات الشعبية، الممارسات السوسيوثقافية، المجتمع الجزائري، التماسك الإجتماعي.

مقدمة:

يزخر التراث الشعبي بعادات وتقاليد شعبية كثيرة سأهمت فيها الأجيال عبر عصور مختلفة اتخذت صبغة طقوس مقدسة أصبحت بدلك مشتركة بين أبناء المنطقة أو الجهة و قد تتكرر عدة مرات وفي أماكن مختلفة. أضحت هده العادات راسخة في نفوس الأجيال تتوارث جيل عن جيل و شكلت تراثا شعبيا يشترك فيه عامة الناس يطبع سلوكهم و أفعالهم وحياتهم اليومية ويؤثر فيهم فيصبحون مدافعين عنه بمختلف الوسائل لأنه يجسد ماضيهم و ماضي أجدادهم، ويمثل بالنسبة إليهم الإطار العام الذي يتحركون فيه وقد يأخذ البعض من هذه العادات والتقاليد طابع القداسة ويصبح المحافظة عليها ذا أهميةبالغة بالنسبة لجميع أفراد المنطقة أو الجهة " القبيلة ".[1]

[1] بوشمة معاشو، سيدي غانم تراث و ثقافة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002، ص22.

تعتبر ظاهرة الاحتفالات الشعبية جزءا من الممارسة الشعبية الدينية، وهذه بدورها تمثل جزءا من نظام الدين في ثقافة المجتمع الجزائري، إن أهم ما يميز ظاهرة الاحتفالات الشعبيةأنها تجدرت في السلوك الإجتماعي والمخيال الشعبي، لقد أصبح أداؤها ملتبسا بكل السلوك الإجتماعي وأنساقه الثقافية وهو يتم بشكل لا شعوري أي بشكل لا يستدعي تفكيرا حول مغزاه أو مدى معقوليته وعليه فدراسة هذه الظاهرة أنتروبولوجيا يقتضي التركيز على جانبين هامين فيها:

الأول: كونها سلوك و عبير عقائدي يترجم عن بعض الحاجات الفردية والنفسية.

لثاني: إنها ظاهرة إجتماعية ذات أصول وجذور، امتدت فروعها وتشعبت وتشابكت لتصبح راسخة في اللاّشعور الفردي وجزءا من نسق الدين وعنصرا من عناصر الثقافة في المجتمع الجزائري.

إذن كيف تساهم هاته الاحتفالات الشعبية كموروث سوسيوثقافي في تحقيق صناعة اقتصادية؟

1) مفهوم الممارسة السوسيو ثقافية:

لقد نظرت الإتجاهات التي سبقت النظريات التجريبية، للممارسات السوسيوثقافية، نظرة شبه سطحية، مقررة دور الغرائز و الإنفعالات في تحديد السلوك الجماعي، واعتبرته ينحدر من أصول أكثر بدائية، ومن صور غير عقلانية للتفاعل الإجتماعي، وكان عالم النفس الإجتماعي " تيرنر " من أوائل المنتقدين لهذا الإتجاه، باعتباره الممارسات السوسيوثقافية، هي سلوك مميز للجماعة، يأتي من الإستجابات الفردية لمثيرات ومواقف اجتماعية مختلفة، في شكل ممارسة إجتماعية مميزة.

1) إذن يعرفها " تيرنر " بأنها بحث الهوية الشخصية المتمثلة في سياق من السمات الشخصية، عن هوية اجتماعية أعم وأهم، تضمن لها عضوية دائمة، وذات فعالية.[2]

2) هي عبارة عن ذلك الآداء الجماعي للأفراد، ضمن احتفال معين بمناسبة معينة، سواء من حيث الأداء الصوتي، أو الحركي أو الوجداني، والتي بدورها تحدد لونا ثقافيا معينا، يميز ظاهرة اجتماعية معينة.[3]

[2] زايد أحمد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006،ص31.

[3] كلثم علي غانم الغانم، الإحتفالات الجماعية وبعض الأشكال الثقافية المصاحبة في مجتمع الغوص، قسم الدراسات والبحوث بإدارة الثقافة والفنون، قطر، ج1، ط1، 1994، ص7.

3) يعرف " ليفين " و" آش " و" أوكز"، الممارسات السوسيوثقافية بأنها ذلك التفاعل الإجتماعي لأعضاء الجماعة، والذي ينشؤ نواتج جماعية " products collective "، مثل المعايير والقيم والأفكار النمطية . [4]

4) يرى " آلبورت " أن الممارسة السوسيوثقافية، تحتوي مثالين مختلفين، ممارسة باطنة وأخرى ظاهرة، أما الممارسة الباطنة فهي تتمثل في المعتقد، في حين الممارسة الظاهرة تتجلى في جملة الشعائر التي يظهرها الممارس، تعبيرا عن وفائه لجماعته وثقافته التي ينتمي إليها. [5]

2) الاحتفالات الشعبية الطقس والظاهرة:

إن كلمة طقس " Rite " مشتقة من الكلمة اللاتينية "Ritus " وهي عبارة تعني عادات وتقاليد مجتمع معين كما تعني أنواع الاحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي،[6] تكمن دعوة الطقس في إثبات استمرارية الحدث التاريخي الشهير فهو يميل إلى تكريس ديمومة الحدث الإجتماعيأو الأسطوري الذي أوجده فهو استنادا إلى ذلك إعادة خلق وتحيين لماضٍ غامض غالبا لكنه يأخذ معنىفي الدين،فيستخدمونه على أنه فعل ديني. [7]

يشير" فان درلو" " Van Derlew " عندما يتحدث عن الطقس بأنه إحياء وتحيين لتجربة مقدسة ويضيف بأن الطقوس أساطير تتحرك لأن الأسطورة هي مؤسسة الفعل المقدس فهي تسبقه وتضمن بقاءه وعليه إن ممارسة الطقس التقليدي تبدو قريبة في الوسط الريفي إلى المعتقد الديني أكثر منه في الوسط المدني، ومن جهته يرى " نور الدين طوالبي"[8] أن التطبيق الشامل للطقوس العامة ليس قبل كل شيء سوى برهان إضافي على التعلق الشعبي بالدين فهو في ذلك مقبول شرعا باعتباره إرادة جماعية تسعى نحو إعادة الاعتبار للتقاليد وعلى الأخص للإسلام.

---

[4] زايد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص6.

[5] ساينو أكوافيفا. إنزو باتشي، علم الإجتماع الديني، ت. عناية عز الدين، هيئة أبو ظبي للثقافة والآثار، الإمارات، ط1، 2011، ص98.

[6] طوالبي نور الدين، الدين/ الطقوس/ التغيرات، منشورات عويدات وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص147.

[7] نفس المرجع، ص34.

[8] نفس المرجع، ص35.

3) دور الاحتفالات الشعبية ووظائفها في المجتمع:

يزخر التراث الشعبي بعادات وتقاليد شعبية كثيرة ساهمت فيها الأجيال عبر عصور مختلفة واتخذت صبغة طقوسا مقدسة كالذبح وهو ما يقابله عند العامة ما يعبر عنه بالذبح على العتبة عند دخول الدار بعد بنائها أو شرائها أو النشرة وهي في لسان العوام ما يتخذ من ذبيح من الدجاج غالبا تقربا إلى الجن كي يرفعوا داءهم عن المصاب بهم ولا يذكرون اسم الله على الذبيحة ارضاءا للجن،[9] وضمن هذه الطقوس يمكن الإشارة إلى إقامة الزردات بمناسبة الختان أو الاحتفال بالزواج مع ما يتطلبه ذلك من إتباع طقوس معينة لإقامة العرس كليلة الحناء والعادات المتصلة بها، و يوم العرس وما يتخلله من رقص إلى غير ذلك من الأمور التي أصبحت مشتركة بين أبناء المنطقة أو الجهة وقد يتكرر الفعل عدة مرات وفي أماكن مختلفة وهناك عادات أخرى كاتخاذ المزارات والتبرك بها وتعليق الخرق على أشجار السدر والبطم و تقديم الشموع والمباخر إلى الأضرحة.[10]

وفي المعتقدات العامة فإن الولي حينما يموت تظل روحه تنتقل بكل حرية في كل مكان ولقضاء حاجة فعلى الطالب أن يستنجد باسمه ليتم له ما أراد وهذا الفعل كثيرا ما يلجأ إليه الناس أثناء وقوع المصائب والكوارث فيستنجدون بالولي الصالح سلطان الأولياء وقد أضحت هذه العادات راسخة في نفوس الأجيال تتوارث جيل عن جيل وشكلت تراثا شعبيا يشترك فيه عامة الناس يطبع سلوكهم وأفعالهم وحياتهم اليومية ويؤثر فيهم فيصبحون مدافعين عنه بمختلف الوسائل لأنه يجسد ماضيهم وماضي أجدادهم ويمثل بالنسبة إليهم الإطار العام الذي يتحركون فيه،ولقد أخذ البعض من هذه العادات والتقاليد طابع القداسة وأصبح المحافظة عليها من الأهمية بمكان بالنسبة لجميع أفراد القبيلة فالإحتفال السنوي الذي يقـــــام على شرف شيخ الزاوية أو صاحب الضريح كثيرا ما يشكل ظاهرة مقدسة بالنسبة للقبيلة والتي لا يجب تركها بل إقامتها في الوقت المحدد مما يؤدي إلى ترسيخها في أفكار البسطاء كواجب مقدس اتجاه الولي.[11]

3)1 الإحتفال بالمولد النبوي الشريف:

إن هذا الإحتفال، رغم أنه يتوافق والمولد النبوي الشريف، نرى فيه تجسيدا لطقوس التبرك بالأولياء، يقوم به أشخاص من سلالة الولي والتابعين له حيث يأتون للزيارة بلوازم التنظيم، [12] ومنه

---

[9] الميلي مبارك، الشرك و مظاهره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص237.

[10] نفس المرجع، ص229.

[11] الميلي مبارك، المرجع السابق، ص229.

[12] بوشمة معاشو، مرجع سبق ذكره، ص13.

فالاحتفالات الشعبية كطقس نجدها في الجزائر تأخـــذ هالة روحانية تتمثل في شيء مقدس وفي ممارســـات تنم عن اعتقادات أقل ما يقال عنها أنها تكفير عن الخطايا والتوسل إلى الله لرفع المظالم إن المقدس كظاهرة اجتماعية فهو محكوم بالدلالات والرموز التي تتشكل بفعل المخيلة الإجتماعية.[13]

رغم ذلك فإن مفهوم الاحتفالات الشعبية لم يحسم فيه بعد، نظرا لغياب الدراسات الأنتروبولوجية الجادة في هذا المجال إلاّ أنه لا يستبعد فرضية أن تكون الاحتفالات الشعبية حديثة العهد ترتبط بسقوط غرناطة وبأهلها " الموريسكيون " الذين هجروا الأندلس واستقروا بشمال إفريقيا بما في ذلك الجزائر، [14] وباتت ظروفهم الجديدة تحتم عليهم تجديد موعد للتلاقي وكان ذلك مع نهاية فصل الصيف وبداية فصل الخريف وعند إلتقاء الجموع كانت تنصب الخيام وتذبح الذبائح تتخللها قراءات شعرية وموسيقى ورقص الذي اشتهر به المجتمع الأندلسي خاصة في مجال التوشيح والزجل وغيرها من الفنون وعند انتهاء اللقاء الذي كان يدوم لأيام ويأخذ شكل الإحتفال الشعبي تفترق الوفود ضاربة لنفسها موعدا للعام المقبل في نفس الموسم والمكان كما يطلق عليها في بعض المناطق " الوعدة " ربما كانت في الأصل" الوعد " ثم تأنثت التسمية مع مرور الزمن تماما مثل ما تغيرت أمكنة وأزمنة حدوثها مع تغيير أحوال المجتمع الجزائري.[15]

3)2 ظاهرة الزردة:

إن ظاهرة الزردة عادة من هذه العادات التي ارتبطت بالتراث الشعبي وهي في الواقع ظاهرة عامة عرفها المجتمع الجزائري على اختلاف تسميتها من منطقة لأخرى، وقد انتشرت هذه الظاهرة في القرى والمدن حيث عمل الناس على إحيائها في مواسم معينة واستمروا في إقامتها اعتقادا منهم أن عدم إقامتها قـــد تؤدي إلى تأخير نزول الغيث أو زوال البركـة فديمومة هـذه الظـاهرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الإجتماعي للناس الذي يرتكز بدوره على الفلاحة المورد الأساسي للفئات العريضة من السكان، [16]وعليه فهي مؤطرة بالزمان والمكان، ومن هنا نؤكد الدور الذي لعبته ولا زالت تلعبه الاحتفالات الشعبيةفي الحفاظ على الشخصية الوطنية وعلى التماسك الإجتماعي للسكان، وذلك من خلال الوظائف التي إطلعت بها أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر

[13] نفس المرجع، ص13.
[14] نفس المرجع، ص14.
[15] بوشمة معاشو، مرجع سبق ذكره، ص15.
[16] نفس المرجع، ص15.

ففي مقابل وظائف الهياكل الحكومية للإستعمار الفرنسي حافظت على عناصر وأدوار خاصة بثقافة الأهالي وقيم و تراث الأجيال السابقة لتشكل هوية مختلفة كل الإختلاف عن هوية الثقافة الغربيـة التي يحملها المستعمر والتي يريد أن يحل محل الثقافة المحلية كما استطاعت أن تصون عناصر أساسية في التراث الشعبي وتزيد من ترسيخها في أفكار الناس بكيفية مكنتهم من مقاومة الغزو الثقافي الإستعماري وحافظت على التواصل والتلاحم بين أفراد الشعب.[17]

4) الممارسات الإحتفالية الدينية الشعبية في منطقة تيميمون وما جاورها: [18]

4)1 إحتفالية السلوك والحفوظ:

من الأمور التي تظهر اهتمام أهل المنطقة بالقرآن الكريم، إقامة الاحتفالات للتلميذ الذي يسلك سلكة واحدة على القرآن، بحيث تقام له تظاهرة احتفالية بالقصر، ومن مظاهر ذلك، ارتداؤه للملابس الجديدة البيضاء، ثم يؤتى بالتمر والحليب، ويكتب له الشيخ في لوحه مطلع ثمن يستبشرون بسورة آل عمران، وفي حالة عودته راجعا على القرآن نزولا تسلسليا، من سورة البقرة إلى سورة الناس، تقام له احتفالية أخرى تسمى "الحفوظ"، يأخذون " المتوج " ويلبسونه لباسا جديدا، ويحضرون فرسا خارج المسجد ويمتطيه ويركب خلفه شخصا آخرا يكون قريبا من ختم كتاب الله، والناس حولهما تردد " كلام الحق جاء به أقول ... وما محمد إلا رسول "، ويحومون به البلدة كاملة، الرجال من الأمام والنساء خلفهم يرددون " تبارك الله على حامل القرآن "، " وصاحب الختمة " المتوج " يكون فوق الفرس ماسك اللوح وكأنه يتلو فيه والناس يرمون له النقود، وفي الأخير يتقاسمها مع الشيخ الذي علمه القرآن، ثم يرجعونه إلى المنزل فتستقبلنه النسوة بالزغاريد ويضعونه في حجر أمه، ويقومون بتقسيم الطعام على الجميع في الأخير،بعدها يطوفون بالمقبرة، وقد يخصص له والده قواريط، أوحبات من ماء الفقارة، تشجيعا له على هذا الإنجاز.

4)2 إحتفالية الختان:

لقد جرت العادة بأقاليم توات، أن الطفل إذا ما وصل لوقت الختان، تقوم فرقة " قرقابو لعبيد "، بإقامة الاحتفال له، وتحنيته بالحناء، ويلبس ملابسه الجديدة البيضاء، ويوضع له الكحلفي عينيه، وفي الصباح يأتي الزيان بموسه التقليدي، فتوضعله بيضة في فمه، ساعة القيام بعملية الختان، حيث تقدم له وجبة خاصة تسمى المردود، وتغني النساء مع الزغردة قائلات:

---

[17] نفس المرجع، ص24.

[18] عقباش مبروك وآخرون، أدرار واحات الفن وقصور الأمان، الوكالة الفنية للسمعي البصري والإتصال، أدرار، الجزائر، 2013، ص ص66-67.

" المختـار يا المختـار ... الحمد لله على دين الإسلام "

4)3 إحتفالية النفاس بوضع المرأة لمولودها:

تسمى بالنفسة، يقام احتفال كبير صباح ذلك اليوم، لوضع ما يسمى بـ «التسمية»، ويحضر كذلك أطفال المدارس القرآنية بعد انتهاء دراستهم، ليقدم إليهم التمر، والحليب، وبعد انتهائهم وانصرافهم يرددون:

" قـاري الستيـــن ... ايعملـوا من العايشيـــن "

4)4 إحتفالية للمولود المريض أو المعاق:

إن ولد طفل جديد، وكان مريضا، أو معاقا، وظهر ذلك عليه تتكفل مجموعة من النسوة بملء قفة من الحلويات، ووضعه فيها، ثم يتجولون به عبر منازل الحي، وهن يرددن ما يلي:

" يـا عماتو يـا خالاتـو ... سـاووا ليه رجيـــلاتـو "

4)5 إحتفالية تؤدى عند اكتمال عدة المرأة المتوفى زوجها (الرابطة):

في منطقة توات يطلق على المرأة المتوفى زوجها بـ " الرابطة "، فهي هنا تشبه المرابطين الذين ربطوا أنفسهم لعبادة الله سبحانه وتعالى، وتترك كل ملذات الحياة، وهنا بعد إكمال الرابطة عدتها يقام لها احتفال كبير تغير من خلاله ملابسها بعد خروجها مع النسوة لمكان مخصص، لذلك يطلق على هذه العملية محليا بأنها " تلوح لباسها "، وبهذا يردد النساء عندخروجهن مع الرابطة:

" أعطوا الطريق " لمسعودة "

وفي منطقة تيميمون وضواحيها، يقال نفس الأغنية، غير أنذلك باللهجة الزناتية فيقولون:

" أوشتْ آبريـــــد "

وبعد انتهاء ارتدائها لملابس زاهية اللون تعبيرا عن انتهاء مدة الحزن، يفسح المجال لها للتعبير عن سعادتها، كما يجول بها النسوة كامل أنحاء البلدة مثل العروس، ليعيدوها إلى منزلها بعد غروب الشمس.

4)6 إحتفالية الأعراس:

تعتبر الأعراس بمنطقة توات، من أبرز المظاهر الاجتماعية التي يظهر فيها الفرح، والتكافل الاجتماعي، ففي العادة أنه إذا ما اقترب العرس، وذلك قبل ثلاثة أيام تقام احتفالية الطبل للأيام الثلاثة التي تسبق العرس، بحيث تصاحب الأفراح كل مراحل وأيام العرس، فهي تعبير عن

الفرح، والسعادة، وعادات تباريك العروس منذ خروجها من بيت والدها إلى حين دخولها بيت زوجها، ومما يردده النسوة في الأعراس نذكر:

" بسم الله اللي فيْ لحتـو فيك يـا عتبة دار بـويـا ...يعملهـا لالـــة خضـارة امبروكـة عـليـــه "

ومن أغاني النسوة بتيميمون باللهجة الزناتية هو قولهم:

" آيـــما هـامـا آيمو... أو تنابينا لالـه فاطنـــه "

" تـولي آجنـاْ آتظال سيقشوا... بنينسْ ايخـالفـــن "

4)6 إحتفالية ليلة القدر:

في يوم السادس والعشرين من رمضان يأتي كل صاحب مزرعة بـ " العشور "، وهو عبارة عن جزء من محصول زراعي سواء كان قمحا أو شعيرا أو تمرا أو بشنة أو غيرها إلى المسجد، ثم يقسم على الفقراء والمساكين، وفي حالة بقاء فائض يتم أخذه إلى القصور المجاورة، فليلة القدر فيها جانب للتكافل بين الناس، تتم فيها الصلاة ثم تلاوات القرآن الجماعية في المساجد حتى طلوع الفجر، كما أن " الطعام والحلويات كلها تأتي للمسجد، فالجميع يتسحرون ويمسكون في المسجد "، أي لا يخرجون من المسجد ليلة كاملة، وتختتم بالدعاء التالي " اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عنا " تعاد مئة مرة جماعيا، ثم يتغافر الجميع بعد صلاة الفجر مثل يوم العيد،

4)7 الزيارات:

أ) زيارة الشيخ عباد:

تقول القصص التاريخية الشعبية أن الشيخ "عباد "، كان منحرفا وتم تطويعه من طرف الشيخ سيدي موسى بن مسعود، بحكمته ودعوته بالموعظة الحسنة، بعد أن كان قادما من " السودان " إلى منطقة " قورارة "، فلما صار الشيخ "سيدي موسى بن مسعود" في ضواحي زاوية كنتة، تعرض له "سيدي عباد"، وأراد نهب أمواله ومتاعه، وكان رجلا قويا شديدا، فقام الشيخ سيدي موسى بن مسعود، بدعوته ودعا الله له، فاهتدى على يده وجلبه معه إلى تيميمون وبالضبط إلى الشيخ الحاج بلقاسم، فتتلمذ على يده، وخدمه ثم صار من كبار العلماء في المنطقة هاته قصته باختصار، أما يوم الزيارة فيتزامن ويوم وفاته في العشر الأوائل من شوال، تدوم ثلاثة أيام، اليوم الأول يسمى بيوم " الرحى " يقومون فيه بجلب القمح والمؤونات الغذائية من طرف السكان لمقر الزاوية، ويجتمعون لتحديد " الحساب "، ثم اليوم الثاني يقومون بفتل الطعام " الفتيل تاع الطعام "، ثم في اليوم الثالث

يقومون بما يسمى " الربعية "، وهي عبارة تقسيم القرآن الكريم على ثلاثين شخص، أي كل شخص يقرأ في نفس الوقت حزبين، ويتم ختم القرآن بهاته الطريقة في ظرف ساعة ونصف أو ساعتين ما بين صلاة العصر والمغرب، ثم يصلون المغرب، وتقسم بعده المآكولات على الناس.

ب) زيارة سيدي أحمد بن يوسف:

الزيارة هنا مرتبطة بقصة تاريخية حدثت بين الشيخ سيدي أحمد بن يوسف بتماسين، والشيخ سيدي بومحمد بزاوية دباغ، فهذان الشيخان كانا تلميذين للشيخ الحاج بلقاسم، وكانا يأتيان عنده في كل احتفالية بالسبوع، فكان الشيخ سيدي بومحمد ينطلق من زاوية دباغ ويمر على الشيخ سيدي احمد بوبكر باولاد سعيد، ويترافقان معا باتجاه أحمد بن يوسف لأنه شيخهما، يبيتون عنده ومع صلاة الضحى ينطلقون صوب شيخهم الحاج بلقاسم، فيجدون عنده سيدي عباد، يحتفلون مع شيخهم الحاج بلقاسم بالسبوع، مابين العصر والمغرب، وقبل غروب الشمس، يرجع الشيخ سيدي احمد بن يوسف إلى تماسين، ويبقى الشيخ سيدي عباد والشيخ سيدي بومحمد حتى يوم الجمعة، و يؤدي الشيخ عباد صلاة الجمعة و يؤم الناس، وبعد الإنتهاء يعود الشيخان إلى قصورهما (بلدتيهما).

وهناك قصة تاريخية بين الشيخ عباد والشيخ بلقاسم وأحد تلامذة الشيخ بومحمد، مفادها أن الشيخ عباد كان في ذات مرة حاملا إناء الوضوء للشيخ الحاج بلقاسم قبيل صلاة الجمعة، فمر عليهما أحد تلامذة الشيخ بومحمد فقال للشيخ عباد وكان حينها لم يرتقي مرتبة المشيخة " عبد يعبد في عبد "، فرفع

"صورة رقم 01 تمثل حضوري جانبا من زيارة الشيخ أحمد بن يوسف بتماسين"

الشيخ بلقاسم رأسه فتعرف عليه فخجل من نفسه وهرول مسرعا، فأمر الشيخ بلقاسم الشيخ عباد أن يلحق به وأعلمه بأن وجهته المسجد الفلاني لأنه إمامه وطلب منه أن يجلس في الصف الأول ولما يتلعثم الإمام في خطبته أن يصعد ويتم الخطبة مكانه، وحصل فعلا ذلك، ومنذ ذلك اليوم صار الشيخ عباد هو إمامهم وهي كرامة من كرامات الأولياء، ويحسد القصة اليوم أبناء القصور

المعنية حيث ينطلق أولاد وأنصار الشيخ بومحمد من زاوية دباغ " ملبسين العلام "، ويتجهون صوب اولاد سعيد يتغدون ويبيتون يومين، ثم يلبسون العلام الثاني، وينطلقون إلى " ماسين " يصلون مع وقت المغرب، يبيتون ويصلون صلاة الضحى، عند قبة سيدي حسين جد الشيخ الحاج بلقاسم صاحب فكرة "السبوع" ضواحي مدينة تيميمون، بعدها يذهبون صوب القبة الخاصة بالشيخ سيدي محمد الصديق وهو أحد أولياء المنطقة، جوار المسجد الخاص بالحاج بلقاسم، ثم يرجع الجميع ويبقى فقط القادمين من زاوية دباغ، واولاد عيسى، حتى يلحق يوم الجمعة، فيؤم الناس أحد أئمة اولاد عيسى، وتنتهي الزيارة.

ملاحظة: هاتان الزيارتان هما اللتان تشكلان معا، ما يطلق عليه " احتفالية السبوع بزاوية الحاج بلقاسم "

ج) احتفالية السبوع:

السبوع فيه سبعة أيام وثمان ليالي، بداية من يوم الثاني عشر ربيع الأول مولد الرسول صل الله عليه وسلم، إلى غاية ثمانية أيام "سبوع النبي"، فاليوم الأول من السبوع هو يوم ولادة النبي صل الله عليه وسلم، يبيت الناس في المساجد حتى صلاة الفجر، يؤدون القصائد الخاصة بالهمزية والبردة، والبصري، وهي كلها عبارة عن مدائح للرسول صل الله عليه وسلم، ثم بعد صلاة الفجر يتم ختم البخاري " بزاوية بني مهلال "، وفي زاوية الحاج بلقاسم يتم قراءة البغدادي حتى الثانية صباحا، ثم يذهبون إلى منازلهم

"صورة رقم 02 تمثل الصندوق الذي يتواجد به العلم الذي يمثل الشيخ الحاج بلقاسم"

ويعودون لأداء صلاة الفجر، وبعده يرددون أدعية من تأليف الشيخ الحاج بلقاسم نفسه، " أستفتح بسم الله وبالذي لا إله إلا هو القديم الأزل إلى آخر القصيدة "، ويستمرون في ذلك حتى وقت الغداء، يتغدون ويحملون " العلام راية تمثل الشيخ الحاج بلقاسم" إلى قصر بوعلي وهو قصر قديم كان آهل في زمن الحاج بلقاسم قبل أربع قرون، ويلتقي الناس من جميع القصور وتقوم الإحتفالية، في شكل جماعات جماعات يمسكون بالعصي ويوجهون للسماء وللأرض، وهي تعتبر طقوس فأل، لما تشاهدهم بتلك الطريقة وكأنهم يعملون في المزارع، يطلق عليها " أهل الليل"، يستمرون في ذلك حتى المغرب، ثم يقرؤون الفاتحة ويعودون.

هاته الإحتفالية هي نقطة انطلاق السبوع، بعدها بثلاثة أيام تقام " الفقرة " بأولاد سعيد، وهي احتفالية إستقبال " العلامات "، الذين أتوا من زاوية دباغ، ممثلة المشايخ وأولياء الله الصالحين، يأتون إلى اولاد سعيد ويقام الزهو والحضرة، في الساحة أما في المسجد فيقومون بتقسيم " السلكة " ختمة القرآن على التلامذة ويختمونها ما بين العصر والعشاء، تذهب بعدها لأي بيت " سلام عليكم تأكل تشرب ترقد ".

بعدها بيومين يأتون إلى " قصر ماسين "، وفي نفس الوقت سكان قصر الحاج بلقاسم يقومون بطلي قبة الحاج بلقاسم " بالجير " ويقومون بإخراج " العلام " الخاص بالحاج بلقاسم ويأخذونه إلى ماسين، فمن باب الإحترام أن يخرج العلم الممثل للشيخ الحاج بلقاسم ليستقبل زواره من المشايخ والتلامذة وغيرهم، على بعد كيلومترات فرحا وسعادة بهم، وهم مشايخ زاوية دباغ و اولاد سعيد وماسين، يبقون هناك ليلة كاملة يختمون كتاب الله، ثم في الصباح يعود " علام الحاج بلقاسم " يحمله شيخ الزاوية " عبد الكريم " اتجاه ضريح جد الحاج بلقاسم " حسين "، وينتظر قدوم " العلام " القادم من اولاد عيسى قبيل وقت الغداء، ثم يعيدونه إلى غرفته حتى وقت العصر ثم يعيدون تلبيسه وتلبيس العلامات الخاصة بمشايخ زاوية الحاج بلقاسم وتلامذته وأبنائه، ويأخذونها اتجاه المسجد وبعد صلاة العصر يخرجونها لتستقبل العلامات القادمة من ماسين ومن اولاد عيسى ومن بني مهلال، وفي الوقت نفسه يكون الناس في المسجد قد بدؤوا في " السلكة منذ وقت الظهر، وبعد أن يلتقي حاملوا " العلامات "، بتلاوات الأدعية حيث أن حاملي رايات زاوية الحاج بلقاسم يرددون " بسم الله بسم الله"، ثم يحدث الإلتقاء ويضربون العلامات بعضهم ببعض، وعند الإنتهاء يعود حاملي العلم القادم من ماسين بسرعة فائقة إلى ماسين مثلما كان الشيخ أحمد بن

يوسف يفعل سابقا، كان يأتي لزيارة شيخه الحاج بلقاسم ويعود قبل غروب الشمس حتى يبقى دوما مشتاقا لشيخه، في حين تدخل باقي العلامات، إلى مقر الزاوية ويبقون حتى العشاء.

"صورة رقم 03 تمثل اصطفاف الرايات الممثلة لمشايخ زاوية الحاج بلقاسم عند ضريح الحاج بلقاسم""

صورة رقم 04 تمثل لحظة التقاء الرايات الممثلة لزاوية الحاج بلقاسم مع الرايات القادمة من بقية القصور "

صورة رقم 05 توضح تلاوات القرآن الجماعية بالمسجد " السلكة ""

"صورة رقم 06 تمثل ضريح الشيخ حسين جد الشيخ الحاج بلقاسم"

"صورة رقم 07 تمثل جانب من المقابلة مع الشيخ بكاري، شيخ الزاوية الحبيبية بقصر بني مهلال"

خاتمة:

إن التقاليد والعادات جزء من القيم الدينية التي تشكل الإطار العام الذي يتحرك فيه سلوك الأفراد وتنعكس على تصرفاتهم، فلا يمكن تصنيفها إلى تقاليد إيجابية وأخرى سلبية، لأنها كل متكامل لا يعرف سمينها إلاّ بغثها، فقد شكلت الحاجز الواقي أمام المحاولات التغريبية والإستيلاب الثقافي، بفضل تحصينها ضد الا ستعمار الفرنسي وضد الغزو الثقافي المسيحي،ومن مقارنة هذه الممارسات نستنتج أن الممارسة السوسيوثقافية تخدم أبعاد معرفية متكاملة هي:

- ربط المفاهيم والتطلعات بمعطيات الواقع.
- حصول الفرد على مفاهيم تتناسب مع مفاهيم الجماعة التي ينتمي إليها.
- النظام، الوحدة، التناغم والتناسق.
- روح التنظيم والموافقة والتراتبية.

وفي الأخير وجب أن أذكر الجميع، بأن نظام التويزة والفقارة والاحتفالات الشعبيةبمنطقة تيميمون، ماهي إلا جزء ضئيل مما تملكه الجزائر من موروث مادي ولا مادي، مما يتطلب منا المزيد من الإهتمام، حتى نجعل من بلدنا وجهة هامة للسياحة العالمية، إنطلاقا من جنوبنا الكبير، وزناتية تيميمون، وتارڤية الأهڤار والطاسيلي، وصولا إلى مزابية تغردايت، وعروبة اولاد نايل، وشاوية الأوراس، وشهاقة جسور سيرتا، وقبايلية جرجرة، وصولا إلى عراقة القصبة، فالشعر الوهراني، وإنسان كلمناطة القديم وبقايا الحضارة الأشورية وقبور الأمازيغ القدماء بتاهرت غربا.

المراجع:

1- أحمد زايد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006.

2- مبارك الميلي، الشرك و مظاهره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

3- مبروك عقباش وآخرون، أدرار واحات الفن وقصور الأمان، الوكالة الفنية للسمعي البصري والإتصال، أدرار، الجزائر، 2013.

4- معاشو بوشمة، سيدي غانم تراث و ثقافة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002

5- سابينو أكوافيفا. إنزو باتشي، علم الإجتماع الديني، ت. عناية عز الدين، هيئة أبو ظبي للثقافة والآثار، الإمارات، ط1، 2011.

6- علي غانم الغانم كلثم، الإحتفالات الجماعية وبعض الأشكال الثقافية المصاحبة في مجتمع الغوص، قسم الدراسات والبحوث بإدارة الثقافة والفنون، قطر، ج1، ط1، 1994..

7- نور الدين طوالبي، الدين/ الطقوس/ التغيرات، منشورات عويدات وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.